

هذا العدوان هزة كبيرة لنا، فشحرننا بأننا شركاء في صنع الهزيمة، وحاولنا تقبل آثارها. كان المناخ السائد، في ذلك الوقت، مناخ الوحدة العربية، الناصرية، لكننا لمسنا ان هناك فجوة كبيرة بين ما كان سائداً، على الصعيد الاعلامي، وبين انعكاساته العملية، فبدأنا في البحث في سبل العمل المستقل.

جاء نمو وتطور منظمة التحرير الفلسطينية في تلك الفترة ليساهم في تعزيز ثققتنا بأنفسنا وبإمكانياتنا وقدراتنا على العمل المستقل؛ هذا التزامن ترك أثراً كبيراً في تطورنا، ودرجة وعينا.

في العام ١٩٦٨، بدىء العمل والبحث في صيغة عمل منظم بين مجموعة من الشبان العرب، على الرغم من وجود بعض الاختلافات في وجهات النظر بينهم. كان الهدف الموحد للجميع هو ايجاد صيغة عمل تنظم طاقات الشباب باتجاه خدمة المجتمع المحلي، من جهة، وخدمة القضية الفلسطينية الشاملة، من جهة اخرى؛ وبدأنا بممارسة نشاطات تربوية وثقافية وفنية ورياضية في مجتمعنا المحلي في ام الفحم، في محاولة منا لايجاد مسرب، ووسيلة، للوصول الى الناس مباشرة. في ذلك الوقت، تمكنا من ايجاد صيغة موحدة للعمل، وهي قائمة حركة ابناء البلد، والتي كان اول بيان رسمي وعلني لها في ١٩٧٢/٨/٣١، وقامت اول تظاهرة تطالب بتغييرات في مجال التعليم والثقافة، وطرحننا مطالبنا، رسمياً وبشكل علني، في تلك التظاهرة.

سبق ذلك نشاطات متعددة مشابهة كانت تحمل اسماء اطراف مختلفة ومتعددة، وكانت مطالبها متنوعة، وكنا نحن القائمين عليها. ولكن تلك النشاطات لم تحمل اسمنا، لأننا كنا نعمل على خلق المناخ الاجتماعي - السياسي الملائم؛ واعتقدنا بأن هذا المناخ قد اصبح ملائماً في ١٩٧٢/٨/٣١.

في ١٩٧٢/١٢/٥، اعتقل بعض الرفاق الذين كنا نعمل معهم، منهم من الجليل والمثلث وام الفحم، بتهمة الانتماء الى تنظيم غير قانوني وهو «الشبكة اليهودية - العربية»، والتي كنا نسميها المجموعة العربية - اليهودية. وهي ليست، بالضبط، «الجبهة الحمراء» نفسها؛ مع ان بعض اعضاء هذه المجموعة هم اعضاء في الجبهة الحمراء، ولكن ليس جميع الاعضاء. وقد كنت اعتقلت مع هذه المجموعة وحكمت بالسجن اربع سنوات بتهمة الانتماء اليها، ولعدم مساعدة السلطات في الايلاغ عن اعضائها.

ارض نفلحها ونزرعها. في ١٩٦٣ - ١٩٦٤، اقيمت في هذه المنطقة مستوطنة (موشاف) «ميه عامي» تيمناً بميامي في الولايات المتحدة الاميركية؛ فعل ما يبدو، ان غالبية تمويل هذا الموشاف قد جاء من يهود ميامي. وقد تصادف التشابه في الاسمين، علماً بأن ميه عامي تعني «مياه شعب». ولكن ضمن سياسة تهويد وعبرنة المناطق العربية، فانهم يطلقون اسما عبرية على مناطقنا المصادرة. فعلى سبيل المثال، عندما كنت اطلع على الاطلس الذي كنا ندرسه في المدرسة، كنت اجد ان مدينة جنين قد كتبت على الاطلس «عين جنين»، وقرية السموع كتبت «كفار اشتميموع».

اقيمت مستوطنة ميه عامي على جزء من ارضنا الخاصة في جواره؛ وجاءت هذه الحادثة لتشكّل نقطة جديدة في تاريخ حياتي.

في العام ١٩٦٥، وفي احدى الليالي، اقيمت حفلة تدهشين هذه المستوطنة، وكان اول رئيس مجلس محلي مُعين لام الفحم على رأس الاحتفال، واسمه احمد ابو حشيش، وقد تحدثت عن الكرم العربي وتعلمي ان تقام علاقات حسن جوار بين ام الفحم والمستوطنة الجديدة. هذه المسألة اشعرتني بطعنة مباشرة؛ فهناك اناس يحتفلون ويسعدون على حساب مربع طفولتي وموطن ذكرياتي.

في يوم الاحتفال، افتتحوا طريقاً يصل بين وادي عارة والمستوطنة الجديدة. وقد شقت السلطات الشارع على ارض خصبة مزروعة بزيتون رومي، وهو من اجود اصناف الزيتون، واقتلعت السلطات، لهذا الغرض، مئات الاشجار، مع العلم انه كان في امكانها تجنب تخريب تلك الارض.

عايشت فترة تصدي والدي واعمامي للمحاكم الاسرائيلية، لاسترداد الارض واثبات ملكيتهم لها. كنت ارافق والدي الى المحكمة في حيفا، لانني كنت اعرف معنى هذه المسألة وادرك تأثيرها في اوضاعنا الاجتماعية والمادية. كان الهم الاكبر لكافة افراد الاسرة الكبيرة هو اثبات ملكية الارض؛ الا ان القوانين الاسرائيلية المتعلقة بالارض حالت دون تمكننا من كسب القضية؛ وبذلك صودرت معظم اجزاء هذه الارض. ان هذه القضية ليست سوى واحدة من آلاف القضايا التي تناقش، يومياً، في المحاكم الاسرائيلية.

جاء عدوان ١٩٦٧ وأنا في الصف العاشر. كان